المصير

بسخطٍ من الله وماواه جهنم وبئس المصير يعني الغال والمتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم هم درجات عند الله
والله بصير بما يعملون يعني هم درجات عند الله قال ابن عباس يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفوا
المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم والمعنى افمن اتبع رضوان الله
كمن باء بسخط من الله ليسوا سواء بل هم درجات عند الله على حسب اعمالهم وقيل الضمير في قوله هم درجات عائد على
قوله افمن اتبع رضوان الله فقط لان الغالب في العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب والدركات لاهل النار
ولان الله وصف من باء بسخط من الله ان ماواه جهنم وبئس المصير فدل على ان الضمير في قوله هم درجات
عند الله وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير من العمل بمعاصيه قوله عز وجل لقد من الله على
المومنين يعني احسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك لا يكون في الحقيقة الا من الله ومنه
قوله تعالى لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يعني من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم
ونشا بينهم يعرفون نسبه وليس حي من احياء العرب الا وقد ولده وله فيهم نسب الا بني تغلب فانهم كانوا
نصارى وقد ثبتوا على النصرانية فطهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من ان يكون له فيهم نسب وقيل
اراد بالمومنين جميع المومنين ومعنى قوله تعالى من انفسهم اي بالايمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم
ليس بملك ولا احد من غير بني ادم ومن انفسهم يعني انه من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام
ووجه المنة والانعام على المومنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى ما يخلصهم من
العذاب الاليم ويوصلهم الى الثواب في جنات النعيم وكونه من انفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا
سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع احواله وافعاله يعرفون صدقه وامانته فكان ذلك
اقرب الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به ابو طالب حين زوج رسول
الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها وقد حضر ذلك بنو هاشم ورؤساء مضر
فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس
حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس وان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن
به فتى الا رجح وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل وقيل في وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله
عليه وسلم ان الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله على خلقه وانعم
عليهم واحسن اليهم بان بعث فيهم رسولا من انفسهم انقذهم به من الضلالة ونجاهم به من الجهالة وهداهم
به الى صراط مستقيم وانما خص المومنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم يتلو عليهم اياته
يعني يقرا عليهم كتابه الذي انزل عليه بعد ان كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شي من الوحي السماوي
ويزكيهم اي ويطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث ويعلمهم الكتاب والحكمة يعني القران والسنة
التي سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وان كانوا من قبل اي من قبل بعثة الرسول صلى
الله عليه وسلم لفي ضلال مبين يعني لفي جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا
فهداهم الله بنبيه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى اولما اصابتكم مصيبة يعني ما اصابهم يوم احد قد اصبتم مثليها
يعني يوم بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين وقتل المسلمون من المشركين يوم
بدر سبعين واسروا سبعين وقيل ان المسلمين هزموا المشركين يوم بدر وهزموهم في اول الامر
يوم احد فلما عصوا الله ورسوله هزمهم المشركون فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة
واحدة قلتم انى هذا اي من اين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهو يستقيم

اكار

انكار قل هو من عند انفسكم يعني انما وقعتم فيما وقعتم فيه بشوم ذنوبكم وهو مخالفتكم امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك لانه صلى الله عليه وسلم اختار الاقامة في المدينة على الخروج الى العدو واختاروا
هم الخروج اليه وايضا امر الرماة بالاقامة في الموضع الذي عينه لهم فخالفوه وتركوا المركز لاجل الغنيمة
فكان ذلك سبب القتل والهزيمة وروى عبيدة السلماني عن علي بن ابي طالب قال جاء جبريل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفداء من الاسارى وقد امرك ان
تخيرهم بين ان يضربوا اعناق الاسارى وبين ان ياخذوا الفداء على ان يقتل عدتهم فذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا بل ناخذ فداءهم فنتقوى به على
قتال عدونا ونستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم احد سبعون عدد اسارى بدر لم يسنده
البغوي واسنده ابن جرير الطبري فذلك معنى قوله قل هو من عند انفسكم يعني باخذكم الفداء واختيار
القتل لانفسكم ان الله على كل شي قدير يعني من نصركم مع الطاعة وترك نصركم مع المخالفة قوله عز وجل وما
اصابكم يعني من القتل والجراح والهزيمة يوم التقى الجمعان يعني جمع المومنين وجمع المشركين وذلك
باحد يوم احد فباذن الله يعني فبعلمه وقضائه وقدره وحكمه وفيه تسلية للمومنين عما حصل لهم
يوم احد من القتل والهزيمة ولا تقع التسلية الا اذا علموا ان ذلك كان واقعا بقضاء الله
وقدره فحينئذ يرضون بما قضى الله عليهم وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا اي ليظهر ايمان
المومنين بثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بقلة صبرهم على ما نزل بهم فالمراد من
العلم المعلوم والتقدير ليتبين المومن من المنافق وليتميز احدهما من الاخر والمنافق هو الذي
اظهر الايمان بلسانه واضمر خلافه واشتقاقه من النفق وهو السرب في الارض له نافذ ومنه
نافقاء اليربوع لان له جحرا في الارض له بابان اذا طلب من احدهما خرج من الاخر فكذلك المنافق
صنع له طريقان احدهما اظهار الايمان بلسانه والاخر اضمار الكفر بقلبه فمن ايهما طلب خرج من الاخر
وقيل لانه دخل في الايمان من باب وخرج من باب اخر والنفاق اسم اسلامي لم تكن العرب تعرفه
قبل الاسلام وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا المقول له عبد الله بن ابي بن سلول
كان يثبط الناس وقال ما ندري على ما نقتل انفسنا فرجع بنحو من المنافقين فتبعهم جابر بن
عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري اخو بني سلمة وهو يقول يا قوم اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم عند حضور
عدوكم فذلك قوله تعالى وقيل لهم يعني المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه تعالوا قاتلوا في
سبيل الله اي لاجل دين الله وطاعته او ادفعوا يعني عن اموالكم واهليكم وقيل معناه تعالوا اكثروا
سواد المسلمين ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو قالوا يعني المنافقين لو نعلم قتالا
لاتبعناكم يعني لو نعلم ان اليوم يجري فيه قتال لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا لما تبعوهم وقيل معناه
لو نحسن قتالا لاتبعناكم هم للكفر يعني المنافقين الى الكفر يومئذ اقرب منهم للايمان اي الى الايمان وانما
قال تعالى يومئذ لانهم قبل ذلك لم يظهر منهم ما اظهروه من المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم
قتالا لاتبعناكم وانما كانوا قبل ذلك يظهرون كلمة الاسلام ويخفون الكفر يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
يعني يظهرون بالسنتهم الايمان وليس هو في قلوبهم انما في قلوبهم الكفر والنفاق وهذه صفة
المنافقين لا صفة المومنين لان صفة المومن المخلص مواطاة القلب اللسان على شي واحد وهو
التوحيد والله اعلم بما يكتمون يعني من النفاق الذين قالوا لاخوانهم نزلت في عبد الله بن ابي المنافق

Copyright © King Saud University